من سواها واضبط . (ثالثها) انا في ريب من اسم الناسخ « اصلان بن الرُّوي » وهو لا يشبه في شيء اسماء النصارى . فنطلب الى حضرة الكاتب ان يبحث عن نسخة أُخرى او يزيدنا علماً بهذه النسخة وورقها وخطها وغير ذلك مما ينفي الريب ويميط قناع الشك ولهُ الشكر سلفاً

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقق والعلامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تابع لما سبق)

(د) « ايوان كسرى او طاق كسرى » الاسم الاوَّل هو اسمهُ عند العرب في سابق الزمان . والاسم الثاني هو اسمهُ في هذا اليوم وقبلهُ ايضاً . وقد ذكرنا في كلامنا عن طيسفون كيفيَّة بناء الايوان وعلى يد مَن وقد ذكر الثعالبي في كتاب ثمار القلوب كلاماً مشبعاً عن هذا الايوان . وكما ان الكتاب غير مطبوع أحببنا نقل كلامهِ . قال :

« ايوان كسرى . يُضرب بهِ المثل للبناء الرفيع العجيب الصفة المتناهي الحَصانة ولانهُ من عجائب ابنية الدنيا ومن احسن آثار الملوك وهو بالمدائن (اي بطيسفون) من بغداد على مرحلةٍ . بناهُ كسرى ابرويز في نيفٍ وعشرين سنة . وتأنق في تأسيسهِ واتقانهِ وتحسينهِ . فلما تمَّ كان من خصائصهِ الثاني عشرة التي لم يُعطَها ملكٌ قبلهُ . وقيل بناهُ انوشروان . (والصحيح في كل ذلك ما اسلفنا ذكرهُ في طيسفون) وهو الذي بنى الباب ايضاً . وانشد في المرزباني لنفسهِ :

قلتُ لما رأيتهُ في قصورٍ مشرفاتِ الابواب والايوانِ
هبلتْ كسرى كسرى الملوك انو م شروان باني الابواب والايوانِ
اي شكرٍ ترجوهُ مني اذا لم تقضِ لي حاجتي وتعدل ثاني

وذكر ابن قُتَيبة في كتاب المعارف انَّ بانيهُ سابور ذو الاكتاف . ومن وصفهِ : ان طولهُ مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في سمك مائة ذراع (وكذا قال ايضاً الابشيهي (٢ : ١٢٧) وهو متَّخذ من الآجرّ الكبار والجصّ (قلتُ : وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (١ : ٤٢٥) ان طول الآجرَّة نحو ذراعٍ في عرض اقلّ من شبر) وثخن الاترج خمس آجرَّات وطول الشُرَف خمسة عشر ذراعاً (وزاد على ذلك الاصطخريّ في مسالك الممالك قائلاً : وليس في مباني الاجرّ ما هو أبهى ولا اتمُّ حسناً منهُ) ولمَّا بنى

المنصور مدينة السلام أحب ان ينقض ايوان كسرى ويبني بنقضه الابنية فاستشار خالد ابن برمك في ذلك فنهاهُ من نقضه فقال: « يا امير المؤمنين انهُ آية الاسلام. فانهُ اذا رآهُ الناس علموا أنَّ مَن هذا بناؤهُ لا يزيل أمرَهُ الَّا الانبياء. وهو مع هذا صُلّى علي ابن ابي طالب رضي الله عنهُ والمؤونة في نقضه وهدمه اكثر من الانفاق به ». فقال المنصور: « يا خالد أبيتَ الَّا ميلًا الى العجم ». وأمر بهدمه. فهُدِمَت منهُ ثُلثهُ فبلغ المصرف عليها مالًا كثيرًا. فأمر بالاضراب عن هدمه وقال: « يا خالد قد صرنا الى رأيك ». فقال: « انا الآن أشير بهدمه ». قال: « فكيف ». قال: « لئلَّا يتحدَّث الناس انك عجزت عن هدم ما بناهُ غيرك ». فتركهُ على حالهِ. فكان المأمون يقول: قد حبَّب اليَّ هذا الكلام ان لا ابني الَّا بناء جليلًا يصعب هدمهُ. قال الجاحظ: « قال قاسم التَّنَّارُ: رأيتُ ايوان كسرى كأنَّما فرغت منهُ الايدي أقلَّ من امس ». قال المبرِّدُ: « تذاكر حذيفةُ وسليمان أمرَ الدنيا. فقال سليمان: ومن اعجب ما تذاكرنا صردُ عنَّابِ العامريّ سريرَ كسرى. وكان اعرابيًّا من عامرٍ يرعى شُوَيهاتٍ لهُ. فاذا كان الليلُ صيَّرها الى عَرَصةِ ايوان كسرى وفي العرصة سرير رخام فتصعد عُنَيهاتهُ الى السرير وكان كسرى كثيرًا ما يجلس عليهِ ». ومِمَّن ضرب المثل بايوان كسرى ابن الرومي وغيرهُ. وقال البحتري من قصيدة:

وكأنَّ الايوان من عجب الصَّنْعة م حورٌ جَنَيْنَ أزعنَ موسى

كذا وفي روايةٍ اصح:

حوبٌ في جَنْبِ أزعَنَ جَلْسِ
لم يُبنهُ إنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الديباج م واستُلَّ من ستور الدِّمَقْسِ
مُشْجَرٌ تُطْوَى لهُ شُرُفَاتٌ رُفعَتْ في رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ
ليسَ يُدْرَى أصُنْعُ إنسٍ لِجِنٍّ سكنوهُ ام صُنْعُ جِنٍّ لإنسِ
غير أنَّي اراهُ يشهدُ ان لَمْ يَكُ بانيهِ في المُلُوكِ بِنَكْسِ

انتهى كلام الثعالبي. (قلتُ): ومِمَّن ذكرَ الايوان ابن الحاجب (في معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٢٦) وهذه ابياتهُ:

يا من بناهُ بشاهقِ البنيانِ أنَسيتَ صُنْعَ الدهر بالإيوانِ
مَذِي الصنائعُ والدساكرُ والبنا وقصور كِسْرَانَا انوشروانِ
كتب اللَّيالي في ذراها أسطرًا بيدِ البلى وانامل الحدثانِ

ان الحوادث والخطوب اذا سطت أودت بكل موثق الأركان

والايوان ليس اسم القصر كما توهمهُ صاحب الهلال في رواية « فتاة غسان » بل هو اسم الايوان فقط كما يدل لفظهُ على معناهُ . اما القصر فكان يُسمَّى بالقصر الابيض او ابيض المدائن (راجع كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦٢) او ابيض كسرى (اطلب ابن الاثير ٢ : ١٩٧ و ١٩٩) . وكان بين الايوان ودجلة بساتين غنَّاء وحدائق اشجارُها غياء حتى اذا وصلتَ الى النهر وقفتَ على المسنَّاة وانت في دهش وعجب مما تراهُ . واذا اطلقتَ طائر بصرك الحائر يحوم حول حيطان القصر فلا يمكنُ ان يقع على موضع الَّا وزينهُ رسمٌ او حفرٌ او كتابة (راجع حسن المحاضرة ١ : ٣ والمقريزي ١ : ٣١) . وعلى جانبي الباب الاكبر المطلّ على المدينة قائمتان عليهما تمثالان كبيران متماثلان متواجهان بصورة ثورٍ أشوريّ كبير مجنَّح وبراس انسانٍ طويل اللحية وعلى مفرقهِ تاجٌ ملكيّ (عن مؤلفي الافرنج في وصفهم لايوان كسرى) . واذا اردت دخول الايوان مررت على ارضٍ تدهشك بعجيب ما تطأهُ من الصور . فان الطريق مزيَّنةٌ بانواع الحصباء الملوَّنة تمثل مشاهدَ ومعاركَ ومذابحَ وفيها انواعُ الناس بازياء مختلفة ومن امم شتَّى . وهناك فرسان وركبان وملوك بتيجان على مراكب وعجلات ومن حولهم بعض من حاشيتهم . وامامهم اساورة يذألون على خيلهم طالبين صيد الاسود ومتأثرين حُمرَ الوحش التي كانت يومئذٍ في العراق وما بين النهرين . وكل هذه الصور متقنة الوضع ومحكمة الصنع كأنها من خَلق الطبيعة . ومن اعظم الطرق التي كانت تتشعَّب حول القصر وداخلهِ النَّهجُ المؤدّي من باب القصر الاعظم الى الايوان يصطفُّ فيهِ عادةً حرسُ كسرى قائمين حولهُ سماطين عند دخولهِ قصرهُ . وفي زاويةٍ من زوايا الحديقة بناءٌ فخم تُقصَر فيهِ الفيلة الداجنة والسباع المضرَّاة

واذا رافقتَ كسرى الى الايوان ودخلت الازَج منهُ وجدت الايوان المذكور مبنيًّا على ساباطٍ سقفهُ واحدٌ كما يتحقَّقهُ من يرى اثرهُ الى هذا اليوم . وفي داخل الايوان عمدٌ من الرخام المنقوش وفي صدرهِ عرش كسرى مرصَّع بالجواهر والحجارة الكريمة يجلس عليهِ الملك عند عقدهِ المجالس ومن حولهِ جماعات من النساس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم وخططهم على نمطٍ عجيب وكانت طبقات خاصَّتهِ ثلاثًا : الاولى الاساورة وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحوٍ من عشرة اذرع وهم

بطانة الملك وندماؤهُ ومحدّثوهُ من اهل الشرف والعلم. وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة اذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك السكون (ويُروى: الكور) والمقيمون بباب الملك والمرازبة وهم الأُصبهبذية ممّن كانت مملكة الكون (الكور) في ايامهِ. والطبقة الثالثة كانت رُتبتُها على قدر عشرة اذرع من حدّ مرتبة الطبقة الثانية. واهل هذه الطبقة المضحكون واهل البطالة والهزل. غير انهُ لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيسُ الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول او القِصَر ولا مُوفٌ ولا مرميٌّ بأُبنةٍ ولا ذي صناعةٍ دنيئةٍ كابنِ حائكٍ او حجّام ولو كان يعلم الغيبَ او حوى كلّ العلوم مثلاً (عن مروج الذهب ١: ٢٨٤ وفي طبعة باريس ٢: ١٥٣—١٥٨).

ومن فوق راس الملك قبّة عجيبةٌ قد تُزّلت فيها نفائس الجارة والمعادن تنزيلاً عجيباً وفي داخلها مِرْوحةٌ من ريش النعام وعلى الملك ستارةٌ مُوكّلٌ بها رجلٌ من ابناء الاساورة يقال لهُ «خُرّم باش» فاذا غاب هذا الرجل وُكّلَ بهِ آخرُ من ابناء الاساورة وذوي التحصيل وسُمّي بهذا الاسم وهذا الاسم عامٌّ لمن رتّب في هذه المرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك: «كُنْ فرحاً ومسروراً» (عن المسعودي ١: ٣٠٧). ويُرى على حيطان الايوان رسومٌ مُلوّنةٌ وزخارفُ مختلفةٌ وصورٌ تمثّل آلهةً جبابرةً وسباعاً ضاريةً كاسرة ومشاهدَ حروبٍ جديدةٍ وغابرةٍ (عن القزويني ص ٣٠٤ من طبعة كوتنكن) ومن هذه التصاوير والنقوش صورة انوشروان مُرمّم الايوان وغيرهِ ممن تقدّمهُ في سالف الزمان من ملوك آل ساسان أو من سلاطين دُوَلٍ أُخرى رفيعةِ الشأن (عن ياقوت ١: ٤٢٦ بتصرّفٍ في البَسْط). وفي أعلى الحائط ووسطهِ وأسفلهِ أبياتٌ شعريّةٌ باللغة الفَهْلَويّة والدَّرِيّة والفارسيّة والخوزيّة ومكتوبةٌ بالحرف السريانيّة وهي الحروف التي كان يكتُبُ بها الفرسُ قبل الاسلام. وفي سقف الايوان تصاويرُ مختلفةٌ تمثّل هيئة السماء بنجومها وكواكبها وافلاكها وبروجها مُتزّلةٍ في قبّةٍ زرقاء لازَوَرْدِيّةٍ بالجارة الكريمة والذهب الابريز والفضّةِ الخالصة وكنتَ اذا رقيتَ الى سطح الايوان رأيت شرارِيف مزخرفة بانواع الصور المحفورة فيها حَفْراً دقيقاً متقناً كانّ انهار الحياة تتدفّق فيها تدفقاً ولا ينقصها الّا التنفّس لتُشاطرك الوجود وما يلحقهُ من ترابهِ. وهذه الشرارِيفُ تُطِلُّ على نواحي القصر الاربع وطول كل شرّافةٍ على ما قالهُ الابشيهي

(٢ : ١٢٧) خمسة عشر ذراعاً . ولمَّا اراد الخليفة نقض هذا القصر ابتدأ بهدم شرفةٍ واحدةٍ وحسب ما انفق عليها فوجد ان نقضها يتكلَّف بقدر بنائها (عنهُ وفي تلك الصفحة)

وباب الايوان كبيرٌ قد نُقش على عتبتهِ العليا صورة الشمس مذهبة وكانت إلهةَ الفُرس في ايَّام مجوسيَّتهم . والى كلٍّ من جانبي الباب تمثال اسد كانهُ يحاول المشي وعيناهُ تقدحان شرارًا والاسدان منحوتان من الرخام محلَّيان بالذهب الابريز وفي موضع العَيْنَيْن منهما دُرَّتان زَرقاوانِ بديعتا الشكل . واما عتبتهُ السُّفلى فمتَّخذةٌ من الرخام المانع (ملخَّص بتصرُّف عن جورج سميث ورولنصن وجسني وغيرهم من مؤرخي الافرنج وآثاريِّيهم)

وخلاصة القول في هذا الشان . انَّ منظر هذا الايوان . العجيب الاتقان . هو من غريب ما جاءت بهِ عقول ابناء الزمان . حتى انهُ حيَّر الاذهان . في كل عصرٍ وآن . وعدَّتهُ العامَّة من تلك البنيان . التي هي من صنع الجان . لا من الانسان . كما رواهُ ابن خلدون في مقدَّمتهِ (ص ٣٠١ من طبعة بيروت ١٨٨٦)

هذا ما كان عليهِ الايوان قبل ظهور الاسلام ولمَّا فتح العرب طيسفون أخرقوا جانباً عظيماً من هذا القصر البديع فاخرجوا منهُ من الذهب على ما نقلهُ الابشيهي الف الف دينار (٢ : ١٢٧) ثم تصرَّف بما بقي منهُ الخليفة المنصور على ما اسلفناهُ في صدر هذه اللمعة بحيث انهُ لم يبقَ منهُ الى هذا اليوم الَّا ما يشهد بصدق وجود مثل هذا الاثر العظيم الجليل في غابر الزمان

الى هنا انتهى ما نقلناهُ عن كتبة العرب بخصوص ما جاء عن هذه المدن الشهيرة التي اصبحت اليوم في خبر كان . اما الافرنج فلم يعرفوها ولم يتكلموا عنها الَّا في هذه القرون المتأخرة وقد اصبحت اليوم كتبهم اعزّ من انف الاسد . الَّا ان يدي قد وقعت على بعض ما كتبهُ هؤلاء الاجانب فأسرع في تعريبهِ واتحاف اصحاب المشرق بهِ ليطَّلعوا على آراء اولئك الكتبة في تلك السنين وكيفية تدوين الافرنج لكل ما يسمعونهُ ويرونهُ فيرونهُ على علاتهِ

واوَّل من نبَّه افكار الاوربيين على هذه الاطلال الدارسة هو بياترو دلَّا قالَّى (Pietro della Valle) وهذا كلامهُ : « وبعد ان سرنا في البلد نصف ساعة وجدنا ضالَّتنا

تَبَا وهي أخربة بناء قديم يعتزيهُ جهلة اليهود هيكل بخت نصَّر الذي وضع فيهِ تمثال الذهب وأمر الناس بالسجود لهُ على ما هو مذكور في التنزيل العزيز. وهو في الظاهر لا يخلو من شبه من جهة الموطن لان الكتاب يقول: أقيم التمثال في سهل وهو وان لم يكن قريباً من بابل فهو على الاقل في قُطر بابل الذي رُبَّما كان ممتدًا الى هنا. غير اني وجدتُ امرًا فريًّا ان تُرى رسومهُ باقيةً الى عهدنا هذا مع قدم ذلك البناء المشهور وعلمي انهُ لم يُبنَ من الحجارة. فسألتُ حينئذٍ المسلمين وعليهم اعتمد في مثل هذه الظروف اذ انهم اوسع علماً من اليهود فقالوا لي ان هذا البناء يُسمَّى «طاق كسرى» اي رواق قيصر (كذا بحرفهِ). وعلى قولهم انهُ بُني في الموطن الذي كانت فيهِ طيسفون تلك المدينة التي رفع دعائمها ملوك الفرس من الدولة الاخيرة وكانوا قد حذوا حذو الرومانيين في تسمية ملوكهم «بالقياصرة» (كذا. والكاتب في وهم ظاهر والاصح ان ملوك الفرس كانوا يسمون بالاكاسرة وملوك الروم بالقياصرة كما هو مشهور) وعلمتُ ان ذلك الطلل كان معروفاً في التاريخ وفي كتب البلدان الفارسية. وسوف ابذل ما في الطاقة للوصول اليها والحصول عليها». قال فردينان هيفر (Ferd. Hoefer) بعد ايراد هذا النص: «ومن ثم يجوز لنا ان نستنتج هذه النتيجة الظاهرة وهي ان مدينة طيسفون كانت في ذلك الموطن في زمان حروب ماركنا العظام لملوك الفرس او الملوك الاشكانيين وجميع كتب التاريخ التي تتكلم عن هذه الحروب تذكر هذه المدينة الذائعة الاسم. وعلى ما تقدَّم ازيد هذه النتيجة الثانية وهي انَّ سلوقية كانت في ذلك المكان ايضاً لان اسطرابون يشهد شهادةً بينة ان طيسفون ليست الَّا ربضاً لسلوقية وانَّ بانيها من الملوك الاشكانيين وقد شيدوها في نيَّة ان لا يزاحموا تلك المدينة بما في بلاطهم من الخدم والحشم ولكثرة ما يلزم لهم من المنازل لايواء جيش الاسكيثيين الذين كانوا يتبعونهم دائماً حيثما كانوا يأتون ليشتُّوا في هذه الاقطار نظراً لحرِّ أديمها لانَّهم كانوا يصيفون في جرجان او في همدان. وان هذا الربض ازداد سكانهُ مع مرور الزمان واتسع نطاقهُ لاقامة أناس فيهِ وكان عددهم اي عددٍ حتى انَّ هذا الربض اصبح مدينة زهراء»

وزاد المؤلف قائلاً: وعليه فان كان ما اوردناهُ لا يعدو طور الحقيقة فمن المؤكد المثبت الراهن ان سلوقية وطيسفون كانتا مدينتين متجاورتين وحواليهما مدن أخرى

اصغر منهما ولهذا سمّى العرب هذه البقعة المشتملة على العاصمتين وعلى تلك المدن الصغيرة « المدائن » كأنّ هاتين المدينتين ولواحقهما اعتبرت لتجاورهنّ مدينةً واحدةً فسمّيت باسم واحدٍ مجموع اشارة الى ما فيها من التجمّع والتضامّ. وفي هذا الصدد قال أغثياس (Agathias وهو من مؤرخي اليونان في القرن السادس) متكلماً عن كسرى: ان جيوش الكروب داهمتهُ وسارس النفس ساورتهُ لتنوطٍ وقعَ في صدرهِ اثر انهزام عسكرهِ على مقربة من قطرهِ فنقلهُ اليهِ خدَمُهُ على ايديهم قبل دَبْرهِ. ومن هذا يتّضح ان هذا الكاتب قد لُبّس عليهِ امر هاتين المدينتين حتى انهُ عدّهما شيئاً واحداً. وما عدا هذا الدليل فان سِفر القديسين الروماني يذكر في اليوم ٢١ من نيسان عيد القديس سمعان استف طيسفون وسلوقية معاً. وهذا ما يدعم مقالنا ويؤيّد رأينا. وما يدعوهُ عرب يومنا هذا بالمدائن قد تُرجم بطيسفون في كتاب بلدان فارسيّ هو في المنزلة الاولى عند اهالي العجم. وصاحبهُ كاتبٌ بارع على ما نُقل اليَّ ولعلّ سبب تسمية المدينتين بطيسفون وحدها لأنّها هذه كانت قد عفّت آثارَ الاولى وبقيت هذه حيّة بعد موت تلك وكما ان هاتين المدينتين كانتا متجاورتين وكانتا بمعتبرتين بناء واحداً اعتُبرت سلوقية من بلاد ما بين النهرين او الجزيرة على ما رأيتهُ مؤيّداً في كتاب مختصر في تخطيط البلدان. واتصوّر انها كانت على الضفّة اليسرى نحو شطرِ دجلة في غربهِ الاقصى أمّا طيسفون فبعكس ذلك كانت واقعة على الضفّة اليُسرى ونحو شطرهِ الشرقي الذي أقيم فيهِ ايوان كسرى » اهـ (البقية للآتي)

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي
عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ٢٧٨)

الفصل الثالث عشر

في هندسة الحروف ومعرفة اعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الألف قال الوزير ابو علي ابن مقلة: وهي شكل مركّب من خطّ منتصب يجب ان يكون مستقيماً غير مائل الى استلقاء ولا انكباب. (قال) وليست مناسبةً لحرفٍ في طول ولا قصر